

واستبداد الحكم الدولة الرومية ، فدخلت في حكم المسلمين بحق الفتح ، ودخل كثير من أهلها في الإسلام عن طواعية واختيار وبقى بعض أهلها على دينهم ، فعاثوا بين إخوانهم من المسلمين تحميمهم كآلة الوطن ، ولا يؤثر فيهم ما بينهم من اختلاف في الدين حتى مضى عليهم فيه أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، وإنه ليكني أقل منها لتثبيت حقهم فيه ، ولإبطال حق الروم الذين كانوا يحكمون قباهم ، فما طنك باليهود الذين لم يكن لهم أثر فيه على عهد فتح المسلمين له ، وهذا هو حكم التاريخ والسياسة في أمر فلسطين ، وهو حكم مريح في أهلها للعرب من مسلمين ومسيحيين لا لليهود ولا للصهيونيين ، ولا لغيرهم ممن يريد سلبها منهم ، ويستغل حق اليهود والصهيونيين في الوصول إلى مآربه ، ليضرب العرب بهم ويضربهم بالعرب ، ويقطع بمد هذا بحاله من مآرب وحينئذ يندم اليهود ولات ساعة مندم ، وبأسفون على إساءتهم لمن أحسن إليهم ولات ساعة أسف .

التاريخ يعيد نفسه

بين المسلمين واليهود

للأستاذ عبد التمام الصمدي

أعد ظهر الإسلام والدولة الرومية بحكم فلسطين وغيرها من بلاد الشام ، وكانت قد قضت على دولة اليهود فيها من قبل الميلاد المسيحي ، وفرقتهم منها في سائر البلاد ، وكانت دولة الروم بحكم فلسطين وغيرها من البلاد الشرقية حكماً استعماريًا ، يستبد فيه الأوربيون بالشرقيين كما يستبدون بهم في عصرنا ، ويقوم على أساس الطمع في بلادهم كما يقوم الآن بيننا ، فلما ظهر المسلمون مال أهل هذه البلاد إلى حكمهم ، لأنه لم يكن حكم طغيان

القصاص ؛ كما كان عليه الشأن عند العرب — والناحية الثانية أن نظام الطبقات عند الرومان كان ملحوظًا في تطبيق هذه العقوبة ؛ فإذا كان الجاني من الأشراف استبدل النقي بعقوبة القتل وإذا كان من الطبقة الوسطى كانت عقوبته قطع الرقبة ؛ وإذا كان من الطبقة الدنيا كانت عقوبته الصلب أو إلقاءه طعامًا لحيوان مفترس ، أو بشق .

وقد دخل على هذا النظام عدة تغييرات انتهت بتدخل الحكومة في إقرار العقوبة وتنفيذها ، كما هو عليه الحال في القوانين الحديثة القتل في الإسلام :

نزل في عقوبة القتل آيتان أولاهما مكية وهي أول ما نزل في القتل وهي قوله تعالى : (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لولايه سلطانًا ولا يسرف في القتل إنه كان منصورًا) والأخرى مدنية وهي قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى : الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى . فمن عفى له من أخيه شيء ، فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ؛ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ؛ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) . كما وردت بصور أخرى متفرقة في القرآن نبت عن القتل منها : (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ؛ ذلكم وصاكم به لعلكم

تعملون) . ومنها قوله تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئًا كبيرًا . ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : « اجتنبوا السبع الموبقات وذكر فيها قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق » أسباب النزول :

روى في أسباب نزول القصاص أن بدويًا قتل آخر من الأشراف ؛ فاجتمع أقارب القتيل عند ولي القاتل وسألوه عما يريد ، فخيرهم بين إحدى ثلاث قالوا : ما هي ؟ قال : إما أن نجيبوا ولدي ، أو تملأوا داري من نجوم السماء ، أو تذفوا إلى جلة قومكم ثم لا أرى أني أخذت عوضًا .

تبين هذه الرواية مقدار ما جابت عليه نفوس العرب من الإسراف في طلب القصاص والتمتت فيه كأخذ الجاني بغيره والجللة بالواحد استمر العرب يقتلون الجماعة بالواحد والرومان بفرقة بين الشريف وغير الشريف ؛ والتوراة تحمي الجني عليه ؛ والإنجيل يفرط في شأنه حتى ظهر الإسلام فترأت آيات القصاص التي تنظم جزاء جريمة القتل وترسم عقوبتها على أسس من العدل والإنصاف سند كرها في مقال نال إن شاء الله فارتفع من الشرائع الأخرى مساوتها واستقرت بحاسنها .

على مسمى

جيمًا ، واستوى فيها الخلق كافة ، فدان للمسيح من دان من السموت ، ودان للإسلام من دم منهم ، ويق اليهود وحدم يزعمون أن رسالة الله لا تتداهم ، وأنه لم يصطف من الناس غيرم فاهت النصرانية والإسلام على زرع هذا الوطن منهم ليتحقق وعد الله بزرعه منهم إذا لم يفوا بعهده ، ويؤمنوا بأبيانه لأن وعد الله حق ، وخبره لا يد من تحفته في الماضي والحاضر والمستقبل ، ومن يمكن لهؤلاء اليهود في فلسطين من مسيحي أوروبا وأسبكا بحالف المسيحية قبل أن يخالف الإسلام ، ويجري وراء السياسة الباغية التي توقع الناس في أقطع الحروب ، وتؤدي إلى خراب العالم ، ولا يقرها دين من الأديان .

وللأخلاق حكم في طمع اليهود في فلسطين أيضاً ، لأن العرب فتحوا لهم بلادهم في فلسطين وغيرها ، فوجدوا فيها جواراً كريماً ، ولقوا فيها عدلاً وأماناً ، وقد لفظتهم أوروبا في القرون الوسطى كما لفظتهم الآن ، فلم يجدوا مأوى لهم إلا في بلاد العرب ، فقصوا فيها تلك القرون الطويلة ، لا ينالهم أحد بشر ، ولا تنظر إليهم عين بسوء ، بل يجدون منا أكرم عطف ، ويفتخرون بنا أقوى نفع ، حتى ساروا ولم يبتنا أموال لا تحصى ولا تمد ، وأصبحوا ويدهم زمام التجارة والصناعة ، فلا يجتد أحد هذا عليهم ، ولا يحاول أحد أن يشترع شيئاً منهم .

أفيكون جزأؤنا على هذا كله أن بطعموا في هذه البلاد التي آوتهم ؟ وأن يتخذهم أعداؤنا وأعدائهم من متمصي أوروبا وأسبكا وسيلة لقضاء مطالبهم ، حتى إذا قضوا أغراضهم من تسخيرهم في حربنا قلبوا لهم ظهرالجن ، وطردهم من فلسطين كما بطردونهم الآن من أوروبا ، اللهم إله لا يجوز شيء من هذا في شريعة الأخلاق ، وإن اليهود قد خرجوا في هذا الطمع الشفيخ على حكم الخلق الكريم ، كما خرجوا على حكم السياسة والتاريخ والدين ولا شك أن الظلم مرتهه وخيم ، والبني عاقبته شر ، وقد بنى اليهود على المسلمين الأوائل في المدينة وكانوا قلة يدون بالمعشرات ، وايس لهم من العالم على سمته إلا بقمة صغيرة في المدينة وماحولها ، فجرائم الله على بنهم شر جزاء ، وأعان هذه القلة عليهم فطردتهم من المدينة شر طرد ، ولم ينفهم ما حاولوه من إثارة العرب على المسلمين ، وما جموه من الأحزاب لإخراجهم من المدينة ، لأن الله لا ينصر بدياً على عدل ، ولا يرفع باطلاً على حق واليوم يبني اليهود على المسلمين وهم يملؤون الأرض من

وأما حكم الدين فهو كحكم التاريخ والسياسة أيضاً ، لأن اليهود قد وعدوا بذلك الوطن في عهد إبراهيم حقاً ، إذ جاء في الآية - ٧ - من الأصحاح - ١٢ - من سفر التكوين (وظهر الرب لأبرام وقال : انك أعطى هذه الأرض) وجاء في الآية ٢١ - من سورة المائدة (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تردوا على أدياركم فتنقلبوا خاسرين) وهذا خطاب من موسى إلى قومه حين ذهب بهم من مصر إلى هذه الأرض المقدسة .

ولكن الله تعالى لم يكتب هذه الأرض لهم لأنهم يهود ، ولا لأنهم أبناء إبراهيم عليه السلام ، ولا لأنهم قوم موسى عليه السلام ، لأن البشر عنده سواء ، وهما جيمًا خلفه وعبيده ، وعدله يشملهم عامة ، ورحمته تعمهم كافة ، وإنما كتب لهم هذه الأرض ليقوموا فيها بعهده ، ويؤدوا فيها حقه عليهم ، كما قال تعالى في الآية - ٤٠ - من سورة البقرة (وأرأفوا بعهدي أوف بعهديكم وإياي فارهبون)

وكان عهد الله تعالى عليهم أن يعبده ولا يشركوا به شيئاً وأن يصدقوا أنبياءه الذين أرسلهم إليهم ، فلم يفوا له بهذا العهد وكذبوا بعض من أرسله إليهم ، وقتلوا بعضهم ، كما قال تعالى في الآية - ٧٠ - من سورة المائدة (لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريماً كذبوا وقريناً يقتلون) والتوراة وما بعدها من كتب العهد القديم مملوءة بأخبار نقضهم هذا العهد ، وكفرهم بالله تعالى ، وتكذيبهم أنبياءه .

وقد سخط الله عليهم من أخرجهم من هذا الوطن جزاء لهم على نقض هذا العهد ، وكان مختصر أول من سخطه عليهم ، فأجلاهم من فلسطين إلى بابل ، وقد مكثوا بها إلى أن أعادهم كورش الفارسي إلى فلسطين ، فأقاموا بها تانياً مدة من الزمان ، وأقاموا دولة لهم فيها دون دولتهم الأولى .

ثم سخط الله عليهم دولة الروم قبيل ظهور المسيح ، فقصوا على دولتهم قضاء لاسد له ، وأجلاهم من فلسطين آخرجلاء ، لأنهم كذبوا مسيحه وحاولوا قتله ، وقتلوا ابن خالته يحيى بن زكريا قبله ، فمظلم بنهم ، ونفاقهم شرهم ، وانقطع الأمل في صلاح حالهم ولم يبق معنى لبقائهم في فلسطين ، بعد أن ظهر المسيح بشرية لا تختص بهم وحدهم . ثم جاء الإسلام شمل الرسالة عامة للناس